الفلسفة وعلاقتها بالتربية

1. مقدمة

الفلسفة والتربية

لكي نستطيع أن نقوم بتربية الأفراد بطريقة حكيمة علينا أن نعرف أولاً. ما الذي نستهدفه من وراء تربيتهم. ولكي نتوصل إلى معرفة ذلك علينا أن نتساءل عما يعيش الناس من أجله أو الهدف الأسمى من الحياة.

إن أية إجابة مرضية لهذا التساؤل تتطلب التعرض لمناقشات مستفيضة للقضايا الرئيسية المتعلقة بالكون والحياة والفرد والمجتمع والمعرفة والأخلاق و نتعرض بالمناقشة أيضاً عن الهدف من الحياة ونوع الحياة التي نبتغيها، طبيعة العالم وعن الحدود التي نضعها إزاء ما يمكن أن يعمله الناس أو يعرفوه، وكذلك عن تنظيم المجتمع ومكانه الفرد و طبيعة الإنسان؟ وكيف يكتسب المعرفة؟ ما المعايير الأخلاقية التي ينبغي إن يسير عليها في حياته؟ مثل هذه التساؤلات وغيرها ضرورية لأية فلسفة للتربية.

هنا يجب أن نتساءل: ما هي الفلسفة ؟ وما الذي تستطيع تقديمه للتربية.

2. معنى الفلسفة

يمكن القول بصفة عامة أنه لا يوجد اتفاق حول تعريف الفلسفة أو تحديد مضمونها ومباحثها. من أقدم تعريفات الفلسفة التعريف الذي يمتد بأصل الكلمة إلى الإغريق في معناها اللغوي **حب الحكمة**. وعلى هذا يكون الفيلسوف هو الحكيم أو محب الحكمة.

تعريف الفلاسفة

يختلف الفلاسفة فيما بينهم حول تحديد مفهوم الفلسفة وينتمون إلى قسمين:

الاتجاه الأول: يرى أن الفلسفة هي أسلوب للتفكير وطريقة للمناقشة في تناول المشكلات وتحليلها ومعالجتها، ويمثل هذا الاتجاه كل من أوغست كونت، وأوكونر، والفين، وهاردي، وفينكس.

الاتجاه الثاني: يرى الفلسفة هي أكثر من كونها طريقة أو أسلوب للتفكير فهي إلى جانب ذلك لها مباحثها الخاصة وميادينها المعرفية. و يمثل هذا الاتجاه كل من افلاطون،برايس، وكلباترك.

3. مبررات دراسة الفلسفة

تتمثل مبررات دراسة الفلسفة في:

- حب الاستطلاع: وهو واقع متأصل في طبيعة الإنسان.
- الاهتمام الرمزي: الإنسان بطبيعته مهتم بالرموز وخاصة الرموز اللغوية، وما يمكـن أن تتخذه من أشكال وأنماط، وتقدم الفلسفة فرصة كبيرة للإنسان لممارسة هذا.
- البحث عن المعنى الشامل للعالم: المعقد الواسع الذي يعيش فيه الإنسان..
- الدافع للتكامل: الإنسان يفضل الاتجاه الكلي على الاتجاه الجزئي المتقطـع والفلـسفة تغري الإنسان على الاتجاه التكاملي الشامل.
- الرغبة في حل المشكلات: إن المواقف المحيرة تثير تفكير الإنـسان للوصـول إلـى مخرج والفلسفة النقدية التوضيحية يمكن أن تخدم هذا الدافع لدى الإنسان.
- الحاجة إلى الإلهام: فالإلهام الذي تقدمه الفلسفة هو الفهم والإدراك واكتساب البـصيرة الشاملة.

4. مباحث الفلسفة

تتمحور حول:

الميتافيزيقا(**Metaphysics**) أي ما وراء الطبيعة

الابستمولوجيا (**Epistemology**) أي نظرية المعرفة

الاكسيولوجيا(**Axiology**) أي نظرية القيم

الميتافيزيقا

أي ما وراء المادة أو الطبيعة وهي تبحث في طبيعة الحقيقة وجوهرها وتقسم الميتافيزيقـا إلى مجالين:

1- الانطولوجيا Ontology: وتبحث في جوهر الكون والوجود والإنسان.

2- الكوزمولوجيا Cosmology: وتبحث في أصل نشأة الكون والوجود والإنسان.

وتقسم الأسئلة التي تتناولها الميتافيزيقا إلى:

1- ما يتعلق بالكوزمولوجيا أو الكون من حيث أصله ونشأته وطبيعته وتطوره .

2- يتعلق بالدين من حيث وجود ا   أو الخالق وصفاته.

3- يتعلق بالانثروبولوجيا أي دراسة الإنسان، ويتناول هذا الجانب دراسة العلاقة بين الجسم والروح.

4- يتعلق بالأنطولوجيا أي دراسة طبيعة الوجود هل هي مادية أم روحية، ثابتة أم متغيرة، منظمة أم لا.

من الطبيعي أن تختلف الإجابة عن الأسئلة السابقة باختلاف المنطلقات الفلسفية لها. فبالنـسبة للكون على سبيل المثال نجد أن هناك تفسيرات مختلفة لأصله وجوهره.

الفلسفة المثالية

المثالية Idealism: معناها في اليونانية (الصورة أو المفهوم) اتجاه فلسفي يتعارض بـشكل قاطع مع المادية في حل المسألة الأساسية في الفلسفة، والمثالية تبدأ من المبـدأ القائـل بـأن الروحي أي اللامادي أولي، وأن المادي ثانوي أو هو ما يجعلها أقرب إلى الأفكار الرئيـسية حول تناهي العالم في الزمان والمكان وحول خالق ا له.

ترى أن هذا العالم بمظاهره المادية وكائناته المختلفة لا تمثل حقيقته، وإنما صورته الخارجية العارضة ، أما جوهر الكون وحقيقته فهي مجردة خالدة لأنها تقوم على أساس الأفكار والمثل الكامنة الباقية. فالأفراد يختلفون في المظهر والشكل والطباع، ولكنهم جميعاً ينتمون إلى فكرة واحدة وعالم واحد هو عالم الإنسانية، والأفراد غير خالدين أمـا الفكـرة الإنـسانية فخالـدة وباقية..

الفلسفة المادية

المادية Materialism: اتجاه فلسفي علمي وحيد في مقابل المثالية، تذهب المادية إلـى أن المادة أولية والعقل ثاني والعالم أبدي، وأنه لا محدود في الزمان والمكان، والمادية إذ تـذهب إلى أن الوعي نتاج للمادة تعتبره انعكاساً للعالم الخارجي، ومن ثم تؤكد امكان معرفة العالم.

ترى أن حقيقة هذا الكون مادية، وأن المادة هي أساس هذا الكون وأنها تأخذ أشكالاً مختلفـة، والمادة أصل الوجود، وأن كل ما هو مادي يعتبر موجوداً حقيقة لا ريب فيها، أما عدا ذلـك من المعاني والأفكار فهي نتيجة لهذه المادة وقدرته عليها. ويؤمن الماديون بأن العالم يخـضع في ضوء حقيقته المادية لمجموعة من القوانين الثابتة التي تتحكم فيه وتسيره،ووظيفة الإنسان إذا كان يريد السيطرة على هذا العالم بعد معرفة هذه القوانين.

الابستمولوجيا

ابستمولوجيا Epistemology : تتألف من الكلمتـين الإغـريقيتين Episteme معرفـة + Logos علم بمعنى نظرية المعرفة، وهي النظرية التي تبحث في المعرفـة وأنواعهـا وفـي طبيعتها وكان أساس بحث الفلاسفة هو عدم ثقتهم في المعرفة الحسية وما تبدو عليه الأشياء. وكان أفلاطون المؤسس الحقيقي للابستمولوجيا بما طرح من أسئلة: هل المعرفة ممكنه، ومـا مداها وهل في مقدور الإنسان أن يركن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته، وما هي وسـائله لتحصيلها، وما طبيعة هذه المعرفة. واختلفت مذاهب الفلاسفة حيال هـذه الأسـئلة وتنوعـت مواقفهم.

هي نظرية المعرفة تقدم بعض التساؤلات مثل هل هناك شيء مشترك بين جميـع المناشـط المختلفة التي تطلق عليها لفظ معرفة؟ وهل المعرفة نوع معين من الفعل العقلي؟ وهل نستطيع أن نعرف أي شيء خارج نطاق الموضوعات التي توقفنا عليه حواسنا؟ وهل تختلف معرفـة الموضوع المعروف عن حقيقته وللابستمولوجيا قضايا رئيسة

.

القضية الأولى

إمكانية المعرفة وحدودها وصحتها، يرى (العقليون والتجريبيون) أن لدى الإنسان القدرة على معرفة الأشياء، إما بواسطة الإدراك الحسي أو التفكير ويؤمنون بأن المعرفـة سـواء كانـت عقلية أو حسية صادقة وليس هناك ما يدعو إلى اختبار صدقها.

القضية الثانية

تتعلق بالطرق والوسائل التي يحصل بها الإنسان على المعرفة هل هو العقـل أو الحـس أو الإلهام أو الحدس، وقد انقسم الفلاسفة إزاء هذه القضية إلى قسمين:

أ- فريق منهم هم العقليون يرون أن المعرفة تكتسب عن طريق العقل. لا الحـواس، وأن المعرفة المستمدة عن طريق العقل هي المعرفة التي يمكن أن نثق فيهـا، فـي حـين أن الحواس لا يمكن أن تكون وسيلة للمعرفة، لأن الحواس مضللة وخداعـة ومخطئـة، ولا يمكن الاطمئنان إلى المعلومات المتحصلة عن طريقها.

ب- الفريق الثاني هم **الحسيون والتجريبيون** الذين يرون أن المعرفة تستمد عن طريـق الحواس والإدراك والتجربة. فكل ما ندركه بالحواس هو معرفة حـسية وبتـراكم هـذه الإدراكات والمعارف الحسية تتكون تجارب الإنسان.

القضية الثالثة

تتعلق بطبيعة المعرفة نفسها وقد انقسم الفلاسفة إزاءها إلى مثاليين وواقعيين:

1- **المثاليون:** يرون أن المعرفة لا تتمثل في ظواهر الأشياء أو مظـاهره الخارجيـة، وإنما في جوهرها والفكرة التي وراءها فما نراه من مظاهر مادية للأشياء ليس حقيقـة هذه الأشياء، وإنما هي رموز لحقيقتها وجوهرها. وعلى هذا ليست المعرفة.

إدراك الأشياء كما هي في الواقع.

2- **الواقعيون:** أن ما نراه من أشياء هي حقيقة هذه الأشياء وجوهرها، وليس هناك أي معنى باطني آخر لهذه الأشياء، وأن العالم الخارجي هو في حقيقته كما ندركه بعقولنـا وحواسنا. وإن إدراكنا للأشياء كما هي في الواقع هو المعرفة.

القضية الرابعة

هل المعرفة ذاتية أم موضوعية هذا التساؤل يتعلق بنسبة المعرفة وينقسم العلماء إلـى ثـلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: يرى أن المعرفة خارجية أي أنها مستقلة عن الإنسان وتـأتي إليـه مـن الخارج ويقوم الإنسان بخزنها في عقله ورأسه، وعلماء الرياضيات والعلـوم الطبيعيـة ينظرون إلى المعرفة على هذا الأساس.

الاتجاه الثاني: يرى أن للإنسان دخلاً في المعرفة فهو يـضيف إليهـا مـن ذاتـه ولـه مسؤوليته في تركيب بنائها المعرفي.

الاتجاه الثالث: يرى أن الإنسان هو صانع المعرفة ومنتجها، وليس مجرد مستقبل لهـا أو شارك فيها، ورجال الفن والأدب والموسيقى ينظرون إلى المعرفة في هذا الاتجاه .

الاكسيولوجيا

هي نظرية القيم تتعلق بالبحث في القيم من حيث طبيعتها وأنواعها ومصادرها، كمـا تتعلـق بمشكلات القيم والخير والجمال، وهي ميدان البحث فـي المـصادر والجـذور للمـشكلات المعيارية للقيم الجوهرية أو الخالدة، كما أنها تبحث في معايير الحكم وموازينه.

وهناك أنواع مختلفة من القيم، منها:

القيم المادية: التي تساعد الإنسان على الوجود المادي كالأكل والملبس والسكن والمال.
القيم الاجتماعية: التي تنشأ من حاجة الإنسان إلى الاعتماد المتبادل على غيره من أفراد المجتمع فالأبوة والأمومة والقرابة والصداقة والزمالة... قيم اجتماعية.
القيم العقلانية: التي تنشأ نتيجة الحاجة للمعرفة، فالعلم والمعرفة كلاهما قيمة في ذاته.
القيم الأخلاقية: التي تفرضها معايير الصواب والخطأ في المجتمع.
القيم الجمالية: التي تحددها طبيعة العلاقات بين العناصر المادية أو المعنوية على أساس من التناظر أو التناقض أو التناسب أو الإتساق.

مصادر القيم

هناك اتجاهات مختلفة حول تحديد مصدر القيم فبعضهم يقول أن مصدرها **الفرد** وهي فكـرة قديمة ترجع إلى جماعة السفسطائيين في المجتمع الإغريقـي القـديم وآخـرون يقولـون أن **المجتمع** مصدر القيم فهو الذي يخلقها ويحافظ عليها وعلى الأفراد أن يلتزموا بها طالمـا أن جماعتهم ارتضوها لأنفسهم، ووجهة نظر ثالثة تقول بأن مصدر القيم هو **القـانون الطبيعـي** الذي يتمشى مع طبيعة الأشياء ويتفق مع العقل، فالحق حق والعدل عدل لأن الحياة لا تستقيم

تقسيمات الاكسيولوجيا (نظرية القيم)

تقسم إلى فرعين:

الفرع الأول: يبحث في علم الأخلاق Ethics
الفرع الثاني: يبحث في علم الجمال Aesthotics

علم الأخلاق

يتناول علم الأخلاق بالدراسة الفلسفية للقيم الخلقية والسلوك الخلقي،ويتناول أسئلة مثـل: مـا الحياة الخيرة بالنسبة لجميع الناس ؟ وما السلوك الواجب علينا اتباعـه؟ويهتم بتقـديم القـيم

الصحيحة باعتبارها الأساس للتصرفات الصحيحة، وهذه القيم أو المبادىء تبرز أو تحكم على سلوك الشخص.
ويحدد المجتمع أشكالاً وأنماطاً تقاس على أساسها اتجاهات مختلفة للسلوك ويحدد مدى كونها مقبولة أو غير مقبولة.

علم الجمال

يتناول الفلسفة الجمالية والجوانب النظرية للفن الجمالي بأوسع معنى له، مع عدم الخلط بينـه وبين الأعمال الفنية الفعلية، أو بينه وبين اتجاهات الفن النقديةو يعتبر علم الجمال مـن أكثـر مجالات الدراسات الإنسانية مثار للخلاف والجدل.
وهناك عدة معايير للجمال الفني منها:

1- معيار الندرة وبناء على هذا المعيار يمتدح الشيء أو يعتبر جمـيلاً لندرتـه، فالـشعر الأسود قد يكون معياراً للجمال في أوربا لندرته.
2- التماثل والتجانس بمعنى أن الشيء يكون جميلاً إذا تجانست عناصره وألوانـه فربـاط العنق مثلاً يجب أن يتجانس مع لون الجاكيت أو القميص أو البنطلون.
3- يعتمد على أساس الجمال في تناقض ألوانه أي تناقض رباط العنـق مـع القمـيص أو الجاكيت من حيث الالوان و الأشكال.

5. تطبيقات الفلسفة على التربية

الفلسفة هي النظرية العامة للتربية. وهذا يوضع العلاقة الوثيقة التي تربط الفلسفة بالتربية لأن معظم المشكلات التربوية الرئيسية هي في صميمها مشكلات فلسفية. ونحن لا نستطيع أن ننقد المثل العليا التربوية والسياسات التربوية، أو أن نقترح مثلاً عليا أو فلسفات تربوية جديدة دون أن نأخذ في اعتبارنا مثل تلك المشكلات الفلسفية العامة كطبيعة الحياة الصالحة التي ينبغي أن تؤدي إليها التربية، وطبيعة الإنسان ذاته، وطبيعة المجتمع وطبيعة الحقيقة النهائية التي تـشهد المعرفة سبر أغوارها.
فعلاقة الفلسفة بالتربية تقسم إلى ثلاث أقسام:

1- اعتبار فلسفة التربية هي وجهة نظر معينة عن التربية سواء كانت وجهة النظر فردية شخصية أو مستمدة من اتجاهات فلسفية.
2- اعتبار فلسفة التربية هي تطبيق الفلسفة على التربية سواء كان التطبيق شاملاً للمناهج والأساليب أو المضامين الفلسفية.

3- اعتبار الفلسفة هي النظرية العامة للتربية.

إن الفلسفة التربوية تتضمن تطبيق الفلسفة النظرية على مجال التربية. فتظهـر الفلـسفة التربوية بأحد المظاهر التالية:

فلسفة عامة تأملية: تكون (فلسفة التربية تأملية) عندما تنشد إقامة نظريات حـول طبيعـة الإنسان والمجتمع والعالم تعمل بواسطتها على تنظيم المعلومـات المتـصارعة المتعلقـة بالبحث التربوي والعلوم الإنسانية وتعمل على تفسيرها.

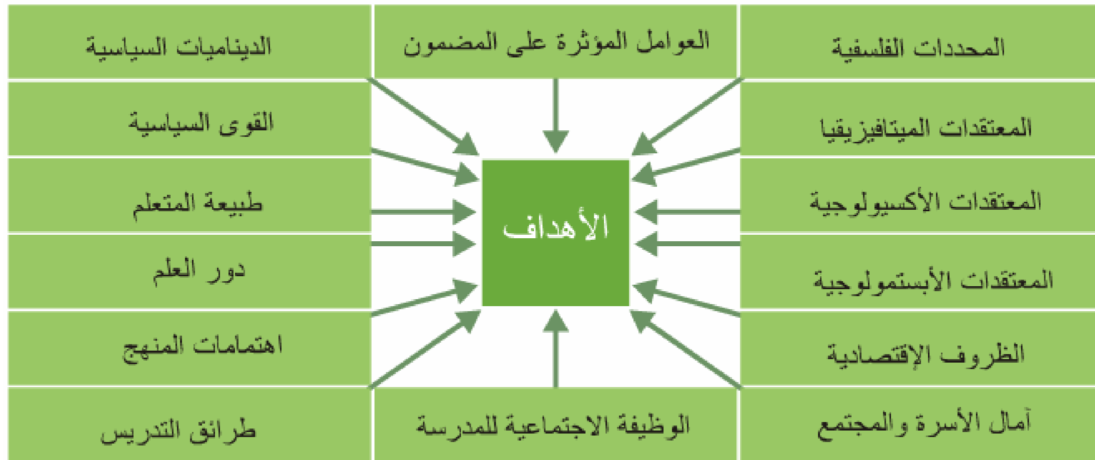
فلسفة تحليلية نقدية: تكون (فلسفة التربية تحليلية ونقديـة): بتحليـل نظرياتهـا التأمليـة والإرشادية، وعندما تقوم بتحليل النظريات التي تجدها في فروع المعرفة الأخرى، فهـي تقوم بتحليل معقولية مثلنا العليا التربوية واتساقها مع المثل العليا الأخرى.

كما تفحص الدور الذي يلعبه التفكير غير المتفحص والتفكير الذي توجهه الرغبة، وهـي تقوم باختيار المنطق الموجود في مفاهيمنا وكفاءته في مجابهة الحقائق التي تنشد تفسيرها. وتدرس أيضاً الانتشار الكبير للمناهج التربوية المتخصصة.

فلسفةإرشادية توجيهية: جتكون (فلسفة تربوية توجيهية إرشادية): عندما تحدد الغايات التي يجب على التربية أن تستهدفها والوسائل العامة التي ينبغي أن نـستخدمها لبلـوغ تلـك الأهداف، وهي تقوم بتحديد وتفسير الأهداف، والوسائل القائمة المتعلقة بنظامنا التعليمـي وتقترح أهدافاً ووسائل أكثر لكي تؤخذ في الاعتبار.

6. تطبيقات مجالات الفلسفة على التربية

في ضوء ما سبق عن مجالات الفلسفة (الميتافيزيقيا والابـستيمولوجية والاكـسيولوجية) سنحاول في السطور التالية أن نعرض لبعض تطبيقات هذه المجالات في ميدان التربيـة من خلال الرسم:



7. اتجاهات فلسفة التربية

تجمل في أربعة اتجاهات:

1- اتجاه يرى أن فلسفة التربية ليست ميداناً معرفياً متميزاً بذاته.
2- اتجاه يرى أن فلسفة التربية اشتقاق من الفلسفة أو تطبيق لها.
3- اتجاه يرى أن فلسفة التربية ميدان متميز مستقبل عن الفلسفة.

8. وظيفة فلسفة التربية

لفلسفة التربية وظيفتين رئيسيتين:

الوظيفة الأولى: إنها تساعدنا على التفكير في المفاهيم والمشكلات التربوية بصورة واضحة ودقيقة وعميقة ومنتظمة، وهذه هي الوظيفة التوضيحية التي تساعدنا على أن نكون أكثر وعياً وإدراكاً لأبعاد الموضوعات الهامة. وهذه الوظيفة تتعلق بدور فلسفة التربية في تحسين السياسات والقرارات التربوية.

الوظيفة الثانية: إنها تساعدنا على تصور التفاعل بين الأهداف والأغراض التربوية والمواقف التربوية المحددة والربط بينهما لتوجيه قراراتنا. وهي بهذا تساعدنا على رؤية أوضح للأهداف الجديدة، كما أنها تدفعنا للتحرك من أجل تحقيق هذه الأهداف، من خلال اختيار الوسائل والمضمون التربوي وهكذا تكون فلسفة التربية موجهة للعمل التربوي

وهمزة الوصل بين المستوى النظري للتحليل الفلسفي والمستوى العملي للقرارات والاختيارات التربوية.

ولدراسة فلسفة التربية أساليب وطرق مختلفة من أهمها دراسة تطور الفكر التربوي عبر العصور المختلفة، ومن خلال كتابات الفلاسفة الذين تناولوا موضوع التربية، ومن خلال المدارس الفلسفية المعروفة كالمدرسة المثالية (أفلاطون، كانط، فيخته) والمادية (ماركس) والطبيعية (روسو) والفلسفات الحديثة (الذرائعية، السلوكية، علم النفس التكويني.).

التقويم النهائي

1- عرف ما يلي :

الفلسفة - المثالية -المادية - الابستمولوجيا

2- عدد أقسام الميتافيزيقا

3- عدد مصادر القيمة

4- اشرح ماذا يعني فلسفة التربية تأملية

5- عدد القضايا الرئيسية للفلسفة